الجهود البلاغية عند سيبويه

حيدر صاحب شاكر
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة سامراء
(تاريخ القبول بالنشر: 8 أيلول 2013)

الخلاصة

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ، أما بعد: تُعَدُّ الجهود البلاغية واحدة من الدراسات المهمة في المجالات الأدبية واللغوية كافة لما ترفده من مواد ومعارف تمكن الباحث البلاغي من الوقوف على جوانب مهمة من جوانب اللغة والأدب عامة والبلاغة خاصة ، إذ لا يخلو كتاب لغوي من مواد مهمة تدخل في البحث البلاغي وعليه ؛ توجهت إلى دراسة الجهود البلاغية عند سيبويه ، فكان هذا البحث ،انتظم البحث في ثلاثة مباحث :مسبوقات بمقدِّمة ومتبوعات بخاتمة ، أما التمهيد: فتحدث عن نشأة علم النحو بشكل موجز، ودور النحاة في نشأة علوم البلاغة وتطويرها، وبعدها جاء المبحث الأول بعنوان: مباحث علم المعاني التي تناولها سيبويه، وتعرَّض المبحث الثاني: لمباحث علم البيان عنده ، وبحث المبحث الثالث : مباحث علم البديع لديه ، أما خاتمة البحث: فسجلت فيها أهم النتائج ؛ ولتشعب هذا الموضوع ودقته أثرٌ في تشعُّب مصادره فكانت : بلاغية ، ولغوية ، وأدبية ، وقد سعى البحث إلى إبراز الجهد البلاغي لعالم لغوي كبير ومشهور وهو سيبويه ، عُرِفَ عنه تأليفه المشهور(الكتاب) ، ولم يعرف عنه الجهد البلاغي أو التأصيل لفنون البلاغة فكان البحث في حصر الفنون البلاغية في كتابه : (الكتاب) ، والذي يعدُّ من أهم المصادر التي بحثت في كثير من الفنون البلاغية ، فهو كتاب مهم في اللغة والأدب ، وتُعدُّ مثل هذه البحوث تأصيلاً لجهود علماء اللغة ، وإعطائهم حقَّهُم الريادي وإبراز دورهم ، فضلاً عن دوره في بحثه للفنون البلاغية ، فقد أسهمت دراسات اللغويين للجوانب اللغوية والأدبية التي مرَّت عبر عصور مختلفة _ فهمهم للفن البلاغي_ وهذه الجهود التي هي بين أيدينا تعدُّ مادة عظيمة الأثر والمنفعة ؛ ولا سيَّما عند البلاغين والمهتمين خاصة ، وأهل اللغة عامة ، إذ تشكِّل حلقة من حلقات علوم اللغة وآدابها ، في مرحلة من مراحل سِفْرِ أمتنا الخالدة ، نعترف بالفضل لكلِّ من سبقنا في الحديث عن هذا الموضوع ، وأتمنى أن تكون هذه الجهود البلاغية نافعة لدارسي علوم العربية ، وخدمة متواضعة للكتاب الكريم ، ولسنة نبيِّه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وجهد ينتفع الناس به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

المقدمة :

لاشك أن العلوم والفنون في القرن الثاني لم تكن قد تحددت بعد ، أو دخلت في مرحلة التنسيق ، والتصنيف ، والتقسيم ، ووضع المصطلحات هنا وهناك عنوانا على كلّ قسم ، من سائر الأقسام ، وإنما كانت العلوم والفنون وقتئذ متداخلة ، يَصُبُّ بعضها في بعض ، فاللغة ، والنحو، والبلاغة، كلُّها كانت بمثابة روافد متعددة ، تصبُّ في مجرى واحد ، هو أثراء اللغة والمحافظة على سلامتها ، وإبراز جمالها ، وسيبويه في كتابه لم يكن متناولاً لفن واحدٍ من هذه الفنون ، بل كان متناولاً لها جميعاً ، ومنظِّماً لها في عقد واحد ، فلم يطفْ بخاطره أو بأذهان المعاصرين له أن يفصلوا بين هذا العلم أو ذاك ، أو يضعوا مصطلحاً لهذه الفنون أو تلك ؛ ولذلك فإنَّ سيبويه في إدراكه لتداخل العلوم قد اهتدى إلى ربط النحو بالمعاني ، فنفث في النحو روحاً مشعة لها جلالها ، وقيمتها حتى تطور هذا الربط إلى أقصى درجاته على يد عبد القاهر الجرجاني ، غير أنه لم يكتب لهذه الروح العمر المديد ، بل أزهقت في قبضة السكاكي ، حين فصل بعضها عن بعض، فوضع المصطلحات لم يكن يعني العلماء في القرن الثاني الهجري ، وإنما الذي كان يعنيهم حقا هو نبش تلك المناجم العلمية والفنية ، واستخراج ما في جوفها من كنوز ،

وإزاحة الأتربة العالقة بها حتى تتلألأُ أمام العيون ، ويتكشَّف ما فيها من بريق يجذب أنظار العالم ، يسترعي انتباههم ، فاستخراجها : المهمة الأولى التي تعنيهم ، وليس وضع الأسماء لمحتويات هذه الكنوز ، ثم بعد أن يبدأ كل شيء ويستقر في موضعه ، فإن الزمن في خدمة العلماء ، والتطور العلمي كفيل بوضع الاسم المناسب لكلِّ نوع من هذه الأنواع ، ولا يحقَّ لمنصف أن يتنكر لجهود سيبويه التي قدَّمها لخدمة البلاغة العربية ، بدعوى أنه لم يذكر لها مصطلحات ، أو لأنَّه لم يضع لها قوانين ، والقوانين عرفناها فيما بعد ، وإنما يحقُّ لنا أن نقول دون ادِّعاء أو مبالغة ، أنَّ سيبويه كان حجرُ الأساس في بناء البلاغة العربية ، بما ذكره من موضوعات تدخل في علم المعاني (كالحذف ، والزيادة ، والذكر والإضمار، والتقديم والتأخير، والاستفهام ، والقصر، والفصل والوصل ، والمجاز العقلي ، والتعريف والتنكير ، ومقتضى الحال ، والقلب ، وخروج الكلام على مقتضى الظاهر) ، ولم يفته أن يتناول أسرار التراكيب ، وتأليف الكلمات ، وصوغ العبارات ، وإبراز الفرق بين تعبير وآخر ، أن اهتمامه لم يكن قاصرا على أواخر الكلمات ، وبيان إعرابها وبنائها ، وإنما تجاوز ذلك إلى نظم الجملة والجمل ؛ ولأجل ذلك جاءت هذه الدراسة لتقف على جهود هذا العالم في كتابه ، واستنباط الدُّرَر والفرائد الثمينة التي أودعها فيه ، وما تحمله من شذرات عظيمة الأثر ، حسنة الجوهر تشوبها لمسات بلاغية ، هنا وهناك تسترعي الوقوف والانتباه ، فكانت الدراسة موسومة بـ ((**الجهود البلاغية عند سيبويه**)) ، وانتظمت بثلاثة مباحث سبقها تمهيد وتلتها خاتمة ، أما **التمهيد**: فتحدَّث عن نشأة علم النحو بشكل موجز، ودور النحاة في نشأة علوم البلاغة وتطويرها ، وبعدها جاء **المبحث الأول** بعنوان : مباحث علم المعاني التي تناولها سيبويه ، وتعرض **المبحث الثاني** : لمباحث علم البيان عنده، وبحث **المبحث الثالث** : مباحث علم البديع لديه ، أما **خاتمة البحث**: فسجلت فيها أهم النتائج ؛ ولتشعب هذا الموضوع ودقته أثرٌ في تشعُّب **مصادره** فكانت : بلاغية، ولغوية ، وأدبية ، وقد سعى البحث إلى إبراز الجهد البلاغي لهذا العالم اللغوي الكبير ؛ وهو **سيبويه** ، عُرِفَ عنه تأليفه المشهور(الكتاب) ، ولم يُعْرَفْ عنه الجهد في التأصيل لفنون البلاغة ، فكان البحث من حصر الفنون البلاغية في كتابه : (الكتاب) ، والذي يعدُّ من أهم المصادر التي بحثت في كثير من الفنون البلاغية ، فهو كتاب مهم في اللغة والأدب ، وتُعدُّ مثل هذه البحوث تأصيلاً لجهود علماء اللغة وإعطائهم حقهم الريادي وإبراز دورهم ، فضلاً عن دور سيبويه في بحثه للفنون البلاغية ، فقد أسهمت الدراسات اللغوية والأدبية التي مرَّت عبر عصور مختلفة في ــ إثراء الفن البلاغي ــ وهذه الجهود التي هي بين أيدينا تعدُّ مادة عظيمة الأثر، والمنفعة ؛ ولاسيَّما عند البلاغين خاصة ، وأهل اللغة عامة ؛ إذ تشكِّل حلقة من حلقات علوم اللغة وآدابها في مرحلة من مراحلها الخالدة .

التمهيد: نشأة علم النحو:

إن النحو قبل سيبويه لم تكن له صورة العلم ذي الأبواب والفصول والقواعد العامة ؛ وإنما كان مسائل متفرقة ، لا تجمعها قاعدة ولا يَضُمُّها باب جامع ، بل كانت ممتزجة بغيرها من مسائل اللغة ، والأدب ؛ لتفسير القران ، وفهم أشعار العرب ، فاستطاع كتاب سيبويه أن يجمع القواعد ويرتبها ، ويعقد أبواباً يجمع فيها أشقاءها من المسائل النحوية؛ فَعُدَّ بذلك أول صورة للنحو وصل إلينا بهذه الصورة الكاملة .

وقد أطنب كثير من العلماء في مدح سيبويه وتقريظ كتابه بكلمات ، نلمح فيها الإعجاب العظيم لعمله الرائع الكبير ، يقول المازني : ((من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه ؛ فليستحي مما أقدم عليه))[1] ، ويقول ابنُ جنّي عنه : ((وقد حطب (جمع) بكتابه وهو ألف ورقة علماً مبتكراً ووصفاً متجاوزاً ؛ لما يسمع ويرى)) [2] .

وإذا أردنا آن نستقصي آراء العلماء في ثنائهم على سيبويه وإعجابهم بكتابه لضاق بنا المجال ويكفي أن نذكر أن (الكتاب) علماً اختصَّ به هذا المصنف دون بقية المصنفات الأخرى ، فإذا أطلقت كلمة الكتاب — فهم أن المراد هو- كتاب سيبويه دون غيره بل إن سيبويه نفسه من فرط إعجابه بالكتاب وقيمته ، أسماه : قرآن النحو ، فالسيوطي يقول عن سيبويه :

((هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل ، وألف كتابه الذي سمَّاه قرآن النحو ، وعقد أبوابه بلفظه ، ولفظ الخليل))[٣] .

ولاشك أن النحو قد تطور بعد سيبويه ، فزادت عليه مسائل ودخل عليه تنظيم وتبويب أقوم وتقعيد أدق ؛ لكنه مع ذلك لم يخرج عن المنهج الذي رسمه سيبويه في استنباط الإحكام واستخراج المسائل وتوضيح العلل ، فالأجيال المتعاقبة لم تغير أسسه وقواعده ، وغيَّرتْ صوره وقوالبه وجعلته فضفاضاً ، يتسع لمختلف النواحي ، كما نرى في **كتاب المقتضب للمبرد** ، **وشرح الكافية للرضي** ، والأول من الكتب المتقدمة ، والثاني من الكتب المتأخرة ؛ ولذلك مضى الناس يأخذون عن الكتاب جيلاً بعد جيل ، وعصراً وراء عصر ، حتى ملأ أسماع الدنيا ، وشغل بقواعده التي ظلت نجوماً قطبية تجذبهم وتهديهم في مؤلفاتهم ومباحثهم ، وظلَّت الكتب اللغوية التي جاءت بعد عصره تنهل من : (كتاب سيبويه) وقلَّما نجد كتاباً في اللغة ، أو النحو ، أو الأدب يصنَّف إلاَّ ، وأخذ من كتاب سيبويه ، وأفاد منه [٤] .

دور النحاة في نشأة علوم البلاغة وتطويرها :

كان النحاة أصحاب الفضل الأول في نشأة علم البلاغة ، على الرغم من أنها كانت في البداية نظرات متناثرة هنا وهناك، ضمن مباحثهم النحوية ، ثم أتيح لمن انتقد النحاة ! أن يصوغ من هذه النظريات العابرة ، قواعد بلاغية ، ذات صبغة علمية، وقد رسخ في أذهان الباحثين أن أبا عبيدة هو أول من تناول البلاغة بالحديث ، ولا سيَّما في كتابه مجاز القرآن .

وإذا كان كتاب سيبويه ترجع أهميته العظمى عند الأقدمين؛ لما حواه من قواعد نحوية نحتاج لتعَلُّمِها علي مرِّ العصور حفاظاً على اللغة العربية ، وسلامتها ، فإنه في نظرنا تحليل رائع ، وإحساس دقيق ، بفقه اللغة وأساليبها ، وأسرار تراكيبها، فهو لا يسجل أصول النحو وقواعده فحسب ؛ وإنما يلاحظ العبارات ويتأملها ، ويستنبط خواصها ومعانيها ، بحسٍّ دقيق مرهف ، كما يُعَدُّ الكتاب أيضا شاملاً ؛ لدراسة بعض الظواهر المنسوبة إلى لهجات القبائل المختلفة ، وما يتعلق منها بالأصوات ، وبناء الكلمة ، وبناء الجملة ، وغير ذلك من المباحث في أصول اللغة ، واللهجات ، والأصوات ، وقد كان الباحثون تجاه سيبويه فريقين :

الفريق الأول :

كان من المهتمين بالدراسات البلاغية ، فنظر إلى سيبويه من خلال كتب عبد القاهر فحسب عندما يشير إليه في بعض المواضع من دلائل الإعجاز ، ويرون فيه أثراً من آثار سيبويه في البلاغة بصفة عامة ، وفي عبد القاهر بصفة خاصة، دون أن يُكَلفوا أنفسهم عناء النظر والفحص في كتاب سيبويه، واستنباط ما نثر فيه من لمحات بلاغية عابرة حيناً ، ومركزَّة أحياناً ، فظلَّ الكتاب لوقتنا هذا غابة مجهولة ، وسراً مغلقاً ، لكثير من الدارسين الذين يُتَوَّقُونَ لاجتلاء معانيه، وكشف اللثام عمَّا فيه من نظرات ثاقبة ؛ لها أثرها الكبير في بناء صرح البلاغة العربية، فكان لزاماً على من يتصدَّى لهذا العلم أن يعرض لجذوره التاريخية ؛ لكي يصبح البحث مجدياً ، والنتائج دقيقة .

والفريق الآخر:

كان من المهتمين بالدراسات النحوية فبحث كتاب سيبويه بحثاً دقيقاً ؛ لاستنباط كما يحلو له من قواعد في النحو ، والتصريف ، واللغة ، دون أن يمسَّ آراءه البلاغية إلا مسًّا قليلاً، ومن ثمَّ لم يضع بين أيدينا آراء سيبويه البلاغية جملة ؛ ومن أجل هذا كان بحثه حتى الآن كرجل بلاغي يُعَدُّ بحثاً قاصراً وغير شامل ، وظلَّ سيبويه كما هو مفتقر إلى دراسات جادَّة مستفيضة تنفض عن آرائه البلاغية ، ما عَلَقَ بها من ركام العلوم الأخرى التي أخفتها عن العيون طيلة هذه القرون .

المبحث الأول بعنوان : مباحث علم المعاني:

تعريف المسند إليه وتنكيره :

ومن الألوان البلاغية المعروفة تعريف المسند إليه ، هذا هو الأصل ؛ لأنَّه المحكوم عليه ، والحكم على المجهول لا يفيد ، وهذه الحالة من أحوال المسند إليه ، وتعليلها مشهورة في كتب المتأخرين ، ونرى سيبويه لم يغفل هذا الموضع وبيان علَّته ؛ ولكنه لم يقف عند ذلك ، بل تعداه إلى نفسية المخاطب الذي يريد أن يفهم عن المتكلم ، فإذا بقي الكلام مجهولاً عند المخاطب ، أو مازال ملتبساً بغيره ، فهو ضرب من الألغاز

والأحاجي ، وسيبويه يوضح ذلك وضوحاً شديداً ، وفي فصاحة بيان ، يندر أن نجدها في ثنايا الكتُّاب ، يقول في باب كان :((واعلم أنه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة ، فالذي تشغل به كان المعرفة ، لأنّه حدَّ الكلام ، لأنهما شيء واحد ، وليس بمنزلة قولك: ضرب رجلٌ زيداً ؛ لأنهما شيئان مختلفان ، وهما في كان بمنزلتها في الابتداء إذا قلت: عبد اللّه منطلقٌ ، تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك : كانَ زيدٌ حليماً ، وكانَ حليماً زيدٌ ، لا عليك أقدَّمتْ أم أخرَّت ، إلا أنَّه على ما وصفت لك في قولك : ضرب زيدًا عبداللّه ، فإذا قلت: كان زيدٌ ، فقد ابتدأت بما هو معروف عنه ، مثله عندك فإنما ينتظر أن تعرف صاحب الصفة ، فهو مبدوءٌ به في الفعل ، وإن كان مؤخراً في اللفظ ، فان قلت كان حليماً أو رجلٌ ، فقد بدأت بنكرة ، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور... فالمعروف هو المبدوء به ، ولا يبدأ بنكرة بما يكون فيه اللبس))[٥] .

ويحدد سيبويه لنا أن اسم كانَ ، وهو المبتدأ ؛ لابد أن يكون معرفة ، ومن ثمَّ لابد أن يتقدَّم حتى يبنى المتكلم عليه الخبر؛ لأنَّه لا يصح البناء على مجهول ، واسم كان رتبته التقديم ، وإن تأخَّر في وضعه من الجملة ، والمخاطب يتشوَّق إلى معرفة الوصف إذا تقدَّم اسم كان ، أو إلى صاحب الوصف إذا تأخَّر ، فمدار الأمر أن المخاطب يريد أن يفهم ، وأن يعرف شيئاً جديداً ، كان مجهولاً لديه ، وعلى المتكلم أن يراعي هذه الحاجة وَيُلَبِّيْها له ، ولن يتحقق للكلام أن يكون مدخل من البلاغة ، ومراعاة لمقتضى حال المخاطب إلا إذا ابتدأ بالمعرفة ، ولو أنَّه بدأ بنكرة ؛ لخرج من دائرة الحسن ؛ فضلاً عن أن يكون كلاماً مستقيماً ، ولكن المسند إليه قد يأتي نكرة ؛ لأسباب أحصاها البلاغيون ، فأحيانا يُنَكَّرُ للدلالة على الوحدة ، وأن المراد شخص واحد لا شخصين، **كقوله تعالى:{ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} (يس: ٢٠)** ، أي رجل ، وليس أكثر، وأحياناً يأتي التنكير للدلالة علي الجنس كَأن تقول : جاءني رجلٌ ، وأنت تريد أن تنفي أن الجايء امرأة ، وقد يأتي التنكير للتعظيم ، أو التحقير، وذكر البلاغيون البيت المشهور لابن أبي السَّمْطِ من [الطويل]:

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ شَيءٍ يُشِيْنُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ العُرْفِ حَاجِبِ

فذكرت كلمة (حاجب) في البيت مرتين الأولى: ((للتعظيم والتهويل ، والثانية للتحقير، أي: ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حدٍّ لا يمكن معه أن يُعْرَفَ ... أي: له حاجب ، وليس أي حاجب ما))[٦] ، وغير ذلك من الأغراض التي يَلُمُّ بها كل دارس للبلاغة .

وقد رأينا عند سيبويه اهتماماً بذكر أغراض التنكير، إذ أدلى فيها بدلوه ، ففي الباب الذي عقده تحت عنوان:(هذا باب تخبر فيه عن النكرة بنكرة) يذكر فيه أغراض التنكير، وإنّه يأتي للوحدة أو الجنس أو التعظيم فيقول: ((يقولُ الرجلُ أتاني رجلٌ يريدُ واحداً في العددِ لا اثنين ، فتقول ما أتاك رجلٌ ، أي: امرأة أتتك ، ويقول أتاني اليومَ رجلٌ ، أي: في قوَّته ونفاذته ، فتقول: ما أتاك رجلٌ ، أي: أتاك الضعفاء))[٧] ، وواضح من هذا أن سيبويه قد طرق باب التنكير ، وبيَّنَ بعض أعراضه ، كما طرق باب التعريف ، وغيره من الأبواب البلاغية .

الحذف :

من يتصفح كتاب سيبويه يجده يَنُصَّ في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف ؛ لأسباب نراها تدخل في فن البلاغة مثل: التخفيف ، والإيجاز والسعة ، وَيُبَيِّن لنا أن العرب قد ذكروا الحذف وَحَبَّذَتْهُ في غير موضع ، ولغتها تشهد بذلك ، يذكر سيبويه أن الحذف لا يكون مطلقاً إذ أردنا الحذف ، وإنما يكون إذا كان المخاطبُ عالماً به فيعتمد المتكلم على بديهة السامع في فهم المحذوف ، وفي موضع يذكر لنا أن الحذف قد يكون لسعة الكلام والاختصار، وذلك كقولك: متى سِيْرَ عَلَيْهِ ، فيقول : مقدم الحاج ، وخفوق النجم ، فإنَّما هو زمن مقدم الحاج ، وحين خفوق النجم ، ولكنه على سعة الكلام والاختصار[٨] .

ويتحدَّث سيبويه _هنا _عن الحذف بصفة عامة ، وَيُبَيِّن السبب الذي أَلجأ العرب إليه ، وأن الذي دفعهم إلى ذلك أما: طلب الخفة على اللسان ، وإما اتساع الكلام

والاختصار، ولابد في هذا الحذف أن يكون المحذوف معلوماً لدى السامع وأنه يهتدي إليه ؛ لدلالة الكلام عليه ، ويتحدَّث عن حروف الجر ، وحذفها ، وسبب الحذف ، ومن ذلك اخترت الرجال عبد اللّه ، ومثل ذلك **قوله تعالى** : **{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِيْن رجُلاً لِمِيْقَاتِنَا}** (**الأعراف:١٥٥**) و(سَمَّيْتُهُ زيداً) ، فهذه الأفعال توصل بحروف الإضافة ، يعني حروف الجر فتقول: اخترت فلاناً من الرجال وسمَّيْتُهُ بفلان ، فلما حذفوا حرف الجر عمل الفعل[٩]، وحذف الجار كثير في كلام العرب ، من ذلك قولهم : أكلت بلدة كذا وكذا ، إنما يريد: أنَّه أكل من ذلك ، وهذا أكثر من أن تحصي[١٠] ، ويتحدث عن حذف المضاف إذا لم يلتبس على المخاطب وكان الكلام مفهوما فهو في قول ابن داود:

أَكُلُّ امرئ تَحْسَبِيْنَ امْرِءًا وَنَارٌ تُوقَّدُ بِاللَّيلِ نَارَا

يقول: فاستغنيت عن تثنيته بذكرك إيّاه في أول الكلام ؛ ولقلَّة التباسه على المخاطب[١١] ، ولكن عبد القاهر يعترض على ما فهم عن سيبويه من أن الحذف مجاز ، إذا لا يصحُّ أن توصف الكلمة بالمجاز ، إلا إذا نُقِلَتْ عن معناها إلى معنى آخر ، والحذف لا يجري فيه نقل الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى جديد ، بل إن ما يحدث فيها هو تغيير الحكم الإعرابي فقط ، **فقوله تعالى** :{ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** } (يوسف : ٨٢) ، أصلها: (**وَاسْأَلِ أهل الْقَرْيَةَ**)، فقد كانت القرية مجرورة ثم صارت منصوبةً ، والقرية لم تستعمل في غير ما وضعت له[١٢].

ويخبرنا سيبويه بأن الفعل إنما يحذف إيجازاً واستغناء بما يري من دلالة الحال عليه ، حين تقول العرب: ((حدَّث فلان بكذا وكذا فتقول : صادقا واللّهِ ، أو أنشدك شعراً فتقول: صادقا واللّه ، أي : قال صادقا))[١٣] ، ويرى أن من الفصاحة حذف خبر إنَّ وأخواتها ، فقال : هذا باب ما يحسن عليه السكوت ، في هذه الأحرف الخمسة ؛ لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموضعاً لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر ؛ وذلك إن مالاً ، وان ولداً أي :إن لهم مالاً [١٤] ، ومنه قول الأعشى من[المنسرح]:

إِنَّ مَحَلا وَإِنَّ مُرْتَحَلَا وَإِنَّ فِي السَّفْرِ مَا مَضَى مَهَلا[١٥]

ويتحدَّث سيبويه عن حذف الصفة وما فيها من بلاغة ، لا تتوافر مع وجودها ، وأن هذه البلاغة يستشعرها المخاطب ، بل القائل نفسه إذا تأملها يقول الزجاج : وحكي سيبويه : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليلٌ طويلٌ ، وكأنَّ هذا إنما حذفت فيه الصفة بما دلَّ من إلحاح على موضعها ؛ وذلك أنك تحسن في كلام القائل لذلك التلويح ، والتصريح ، والتعظيم ، ما يقوم في مقامه قوله: طويل ، ونحو ذلك ، وأنت تحسن هذا من نفسك إذا تأمَّلته كأن تقول : مقام المدح كان واللّه رجلاً ، فتطيل الصوت أي : رجلاً فاضلاً شجاعاً أو كريماً [١٦].

ونجد سيبويه يعرض للحذف بجميع ألوانه من حذف حرف الجر ، والاسم ، سواء كان مضافا أو مضافا إليه ، والمبتدأ والخبر ، والصفة والموصوف ، وحذف الفعل سواء كان للإغراء أو التحذير أو التعجب إلى غير ذلك ، مراعياً في هذا الحذف التخفيف على اللسان ، ووجود القرينة التي نلمحها في علم المخاطب .

وملاحظته في هذا الحذف شيئاً من الفصاحة يخلو الكلام منها ، إذا كان تاماً لا حذف فيه ، وكلُّ ما ذكره سيبويه من ألوان الحذف عَدَّها البلاغيون من بعده ، مشتملة على الفصاحة والبلاغة .

الذكر:

وجد سيبويه للحذف أسبابا بلاغية ، ووجد أيضا للذكر دواعي يحسن بها الكلام ، ومن ثم فلا يجوز الحذف بحال من الأحوال ، فالفعل عنده : لا يحذف إذا كان لا يخطر على بال المخاطب بأن يكون غافلاً عنه ، أو أن الحال لا تلفت إليه أو إذا كان داعي النظم يقضيه ويحتويه كأن يأتي بعد حرف يستدعي ذكره بعده مثل : أن ، وقد ، فيقول: أما الفعل الذي لا يحسن أخباره فانه إن تنتهي إلى رجل لم يكن في ذكر ضرب لم يخطر بباله ، فتقول : زيداً فلابد له من أن يقول : اضرب زيداً ، وتقول له : قد ضربت زيداً ، أو يكون موضعاً يقبح أن يعري من الفعل نحو : أن ، وقد وما أشبه ذلك [١٧].

الزيادة:

ويتحدث سيبويه أيضا عن الزيادة ، فيذكر زيادة الحروف ، وأثرها في الكلام ، ويتعرض لشتى الحروف التي تأتي زائدة في الكلام ، مثل : الكاف ، والباء ، ومن ، وما ، ولا ، وان ، وغير ذلك فيقول عن الكاف في قولهم: ((التجاءك أنها جاءت توكيداً وتخصيصاً ولم تجئ للإضافة ؛ لأنَّ الاسم المقرون بأل لا يضاف))[١٨]، وإنما أحيانا تأتي زائدة بمعنى: مثل للتشبيه والمبالغة ، فيقول: وان ناساً من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوا الكاف بمنزلة مثل ، ومنه قول حميد الأرقط : **فصيروا مثل كعصف المأكول** ، وقول خطام المجاشعي : وصاليات كما يؤثفين ، ويعقِّب الأعلم على قول سيبويه فيقول: ((وجاز الجمع بين مثل والكاف جوازاً حسناً ؛ لاختلاف لفظهما مع ما قصده من المبالغة ، والتشبيه ولو كرر المثل لم يحسن))[١٩] ، ويتحدث أيضا ليس ما معنى سوى ما كان قبل أن تجيء إلا التوكيد ومن ثم جاز ذلك إذا لم ترد به أكثر من هذا [٢٠].

التقديم والتأخير:

يحدثنا سيبويه في صدر كتابه عن التقديم والتأخير ، وربما كان أول من طرق سرَّ هذا اللون البلاغي من العلماء فنحن نلحظ أن العلماء قبله _ كيونس بن حبيب _ كانوا يعرفون التقديم والتأخير ، ولكنَّهم لم يقفوا على أسراره البلاغية ، أما سيبويه حين يعالج التقديم والتأخير في الكلام فإنَّه يلفت النظر إلى سر بلاغي مهم تلقَّفه علماء النحو ، والبلاغة فناقشوه مؤيدين ومعارضين ، فأثرى بهذه اللفتة الطيبة كثيراً من المباحث البلاغية ، فيقول في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول: ((فإن قدَّمت المفعول ، وأخرت الفاعل،كقولك: ضرب زيداً عبد اللّه ، وكان حَدُّ اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدما وهو عربي جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم و هو ببيانه أعني وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))[٢١]، فمن شأن المفعول أن يتأخر عن الفاعل ولكنه إذا تقدَّم فذلك لعلةٍ قصدَ إليها المتكلم ، وهي: العناية والاهتمام بشأنه وإذا كان تقديم المفعول عن الفاعل للعناية والاهتمام ، فإنّ تقديم المفعول على الفعل يأتي لهذا الغرض البلاغي نفسه.

وقد فطن البلاغيون لذلك ، ومنهم عبد القاهر الجرجاني ، إذ قاده فهمه لعبارة سيبويه _ المقتضبة _التي تتضمن دلالات بإشارته إلى أن وجَّه العناية في كل موضع بحاجة إلى تفسير، وهو ما دعاه إلى أن يُعَقِّبْ على قول سيبويه المتقدم : ((فهذا جيدٌ بالغ إلاَّ أنَّ الشَّأن في أنَّه ينبغي أن يُعرف في كلِّ شيء قُدم في موضع الكلام مثل هذا المعنى ويُفسَّر وجه العناية فيه هذا التفسير))[٢٢] ، ويظهر أن هذا الكلام هو الذي حفَّز علماء الإعجاز إلى استقراء مواضع التقديم والتأخير وتحديدها، وقد انتهى الدرس الحديث إلى أن التغيير الحاصل في البنية السطحية في الكلام يؤثر في البنية العميقة ، ويوضح العلاقة القائمة بين القوانين البنيوية والعلاقات التركيبية العاملة فيها[٢٣].

والبحث في ثنائية التقديم والتأخير في كلام العرب ، ولاسيَّما في القرآن الكريم ؛ يكون القصد فيه للجوانب الإبداعية ، التي تكشف عن منبع من منابع الإعجاز القرآني وتحديد معالمه التعبيرية ، وطرائق استعمالاته المتباينة على وفق أسسٍ لغوية تبين روعة الأداء التركيبي ، والدلالي ، والأسلوبي الذي يُوضح خروج نظم القرآن عن نظم كلام الناس ، وعلى الرغم من أن للذوق أثراً واضحاً في فهم مواطن الحسن في النصِّ المعجز ؛ فإن الارتضاء بالذوق وحده ، والاعتماد عليه من غير غوصٍ في باطن العلة لا يمكن أن يحقق الفهم الكامل، والوصف التام ، لجوانب الإعجاز[٢٤] ((وإنما يُدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي ، وحصول مَلَكَته ، فيدرك من إعجازه على قدرة ذوقه))[٢٥] ، وقدرته على تمثُّل حبكة النصِّ وأسراره ، وفنونه التعبيرية ، ولا يكون الغوص في بواطن العلل بغير الاعتماد على توضيح الحقائق القائمة على الأدلة التي تلمّ بوجه بلاغته وسرِّ مفارقته لوجوه كلام البشر ، ذلك أن الدرجة العالية في الذوق والإحساس والعلم بالأساليب التي يقع فيها الإعجاز هما سبيلا الباحث المحقق في أسلوب القرآن ؛ لأنَّ القرآن الكريم قد فاق المعهود من نظام كلام العرب ، وتصرَّف في وجوه الأساليب المألوفة عندهم في مواطن متعددة ، ومما تصرف فيه أو به : ثنائية التقديم والتأخير ، وهي ظاهرة معدودة من سمات المنهج

الوصفي الذي يمكن أن يجري التعويل عليه في تحديد المستوى الدلالي في التركيب النحوي[٢٦] ، وهذه السمة تُعدُّ سمة بارزة من سمات الجمال في لسان العرب ، وسمو العناية بالمعنى فيه ، مادامت تحقق أغراضاً دلالية مختلفة في الأحوال والمواقف المختلفة لأصحابها [٢٧] ، ((فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم للكلام ، وتلعّبهم به ، وتصرّفهم فيه، على حكم ما يختارونه ، وانقياده لهم لقوة مَلَكَتهم فيه)) [٢٨].

وبحث سيبويه في موضوع التقديم والتأخير ، بعض الأسباب الموجبة للتقديم وما يتمخض عن ذلك من فوائد جليَّة ، ونكتٍ بلاغيَّة ، ومنها : والعناية والاهتمام فقال : ((وان قدّمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك عربيا جيدا وذلك قولك: زيدًا ضربتُ ، والعناية والاهتمام هاهنا _في التقديم والتأخير_ سواء منك في ضرب زيدٌ عمراً ، وضرب عمراً زيدٌ))[٢٩].

ونراه يتابع التقديم في أبواب كثيرة من أبواب النحو ، ولاسيَّما في باب ظن ، وكسا ، وإن ، وكان ، والظروف ، وغير ذلك ويضع أصابعه على علَّة بلاغية لها قيمتها في فن البلاغة عند المتأخرين ففي باب ظن يقول: ((فان ألغيت قلت : عبد اللّه أظن ذاهب ، وهذا أخال أخوك وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى وكلّ عربي جيد...وإنما كان التأخير أقوى ؛ لأنه إنما يجئ بالشك بعد ما يمضي كلامه على اليقين، أو بعد ما يبتدئ وهو يريد اليقين ثم يدركه الشك))[٣٠]

والتقديم هنا ليس للعناية والاهتمام ، كالموضع السابق في تقديم المفعول على الفاعل أو الفعل ؛ وإنما التقديم هنا لغرض بلاغي آخر ، ولعاملٍ نفسي طرأ على المتكلم أثناء كلامه ، وحوَّلَ يقينه إلى شك ، فألزمه تغيير وضع الألفاظ عمَّا كان ينبغي أن تكون عليه ، وفي حديثه عن الاستفهام نراه يستحسن أنْ يلي المسؤل عنه الهمزة فيتقدم على الفعل يستحسن ذلك فقط ولا يجعله فاسدا إذا لم يلِ الهمزة بل يجيز له أن يتقدم أو يتأخر وإن كان التقديم عنده أفضل ففي باب _ أم إذا كان الكلام بها بمنزلة أيهما أو أيهم _ وذلك قولك: أزيد عندك أو عمرو؟ وأَزيدا لقيت أم بشرا ؟ فأنت الآن مدع أن عنده أحدهما... واعلم انك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن ؛ لأنك لا تسأله عن اللقب وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فبدأت بالاسم ؛ لأنك تقصد قصدا أنْ يبين لك أي الاسمين عنده ، وجعلت الاسم الآخر عديلاً للأول ، وصار الذي لا تسأل عنه بينهما ولو قلت الغيب زيدا أم عمرا كان جائزا حسنا ، وإنما كان تقديم الاسم هاهنا أحسن ولن يجز للآخر لن يكون مؤخرا لأنه قصد أحد الاسمين فبدأ بأحدهما[٣١].

ولكن ابن جني لا يأخذ برأي سيبويه في أمر التقديم والتأخير وسرّه البلاغي من حيث العناية والاهتمام ، أو التنبيه، ويثور على ما أرتآه سيبويه ، فيقول: ((وإنما هي شيء رآه سيبويه واعتقده قولاً ، ولسنا نقلِّد سيبويه ولا غيره في هذه العلَّة ، ولا في غيرها فان الجواب عن هذا حاضر عتيد ، والخطب فيه أيسر))[٣٢] ، فالتقديم عند ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي ليس لعلة بلاغية من الاهتمام بشأن المقدَّم ، أو العناية به ، أو التنبيه عليه ، ليس شيء من ذلك إطلاقا : وذلك إن المفعول قد شاع عن العرب واطّرد من مذاهبهم كثرة تقدمه علي الفاعل حتى دعا ذلك أبا علي إلي أن تقديم المفعول قسم قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه وان كان تقديم الفاعل أكثر وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا ، نحو **قول اللّه تعالى** :

{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } (**فاطر: ٢٨**) ، و**{ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** (**التكاثر:١**) .

فهذه القضية الكبرى التي يتناولها علماء النحو والبلاغة واللغة ، ومازلنا نقرأ عنها حتى يومنا هذا في كتب النحو والنقد والبلاغة ، هي في أساسها من صنع سيبويه فهو أول من أشار إليها وطرق بابها ، ولاشك أن هذا فضل ينسب إليه بالفخار ويجعله رائدا مجيداً من الرواد الذين أسهموا بنصيب وافر في تأسيس علم البلاغة .

الخروج على غير مقتضى الظاهر:

ونقصد من التعبير بإخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، أن يكون ظاهر الحال يقتضيه على صورة خاصة ،

فيؤتى به على غير هذه الصورة ؛ لأمر يعتبره المتكلم[٣٣] ، كالتعبير بلفظ الماضي عن المستقبل وعكسه ، والقلب، ووضع الظاهر موضع الضمير وعكسه، واستعمال الطلب في موضع الخبر، والخبر في موضع الطلب ، وغير ذلك مما يتجاوز أصل معناه ويمتد إلى معني جديد ، وسيبويه يتحدث عن عبارات لغوية تدخل في الدراسات البلاغية ؛ لخروجها على غير مقتضى الظاهر مثل القلب ، ووضع المفرد موضع المثنى ، أو الجمع ، ووضع الجمع ، واستعمال اللفظ الموضع لغير العاقل في موضع العاقل ، وغير ذلك مما يتحتم الإشارة إليه ، وقد تحدّث علماء البلاغة عن النداء وخروجه عن أصله ؛ وهذا سيبويه قد سبقهم للحديث عنه فيقول :((هذا باب ما يكون النداء فيه مضافا إلى المنادى بحرف الإضافة ؛ وذلك في الاستعانة والتعجب، كقول مهلهل :

يَا لِبَكْرَ انْشُرُوا لِيَ كُلَيْباً يَا لِبَكْرَ أَيْنَ الفِرَار

فاستغاث بهم ؛ لأن ينشروا له كليباً، وهذا منه وعيد وتهديد! وأما قوله : يا لبكر أين الفرار، فإنما استغاث بهم أي: لم تفرون استطالة عليهم ووعيداً))[٣٤] ، فالنداء في البيت لم يستعمل في معناه ؛ وإنما خرج للاستغاثة ، وما تتضمَّنه من وعيد وتهديد ، ولا شك أن حمل النداء هنا على الاستغاثة عن سيبويه ظاهر الفساد ؛ لأن الشاعر لا يستغيث بمن يهدده ، وقد حمله النحاة على الاستهزاء فقال: ((إنما يدعوهم ليهزأ بهم ، ألا تراه قال : انشروا لي كليباً))[٣٥] ، وسواء كان النداء هنا للاستهزاء ، أو للاستغاثة ، فإنه قد خرج عن أصل وضعه وقد نبَّه سيبويه على هذا ، وحروف النداء ثمانية : (الهمزة ، وأيا ، وأَيْ ، آي ، وهيا ، وا ، يا ، والألف) ، وذكر سيبويه من حروف النداء : (يا، وأيا ، وأَيْ ، وهيا ، والهمزة) ، ويرى أن الأخيرة لنداء القريب ، والأربعة الأُول لنداء البعيد ، أو الإنسان المعرض عنهم ، أو النائم المستثقل ، أو الشيء المتراخي فيقول : ((وقد يجوز لك أن تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريبا مقبلاً عليك توكيدا)) [٣٦] ، فالأدوات الموضوعة لنداء البعيد يجيز سيبويه استعمالها لنداء القريب لغرض بلاغي هو **التوكيد** .

القلب:

نوع من الإخراج على غير مقتضى الظاهر ، وهو عند السكاكي يورث الكلام ملاحة ويصل به إلي كمال البلاغة [٣٧] ، والسكاكي الذي استقرت علوم البلاغة على يديه ، وأخذ كل لون من ألوانها مكانه المعين في أقسام البلاغة ، من معان وبيان وبديع ، يُعَدُّ **القلب** داخلاً في علم المعاني ، غير أن القلب الذي انتهي إليه السكاكي ، ووصفه بأنه يورث الكلام ملاحة ، ويرتقي به مدارج البلاغة ، لم يكن ينظر إليه المتقدمون بعين الاعتبار ، حتى أنهم إذا قرأوا مثالاً له من القرآن أَوَّلُوهُ عن ظاهره ؛ لأنهم لا يجدون فيه نوعا من الحسن، أو الخلابة ، فسيبويه يَرُدُّ القلب إذا ورد في الكلام ، ويصفه بالرداءة ، والبعد عن الجودة ، وتأويل هذا النوع هو ما يكون به صحة الكلام وحسنه يقول : ((وأما قوله : أدخل فوه الحجرَ ، فهذا جرى على سعة الكلام ، والجيد أدخلَ فاهُ الحجرَ، كما قال أدخلتُ في رأسي القلنسوةَ ، والجيد أدخلتُ في القلنسوةِ رأسي... قال الشاعر:

تَرَى الثَّوْرَ فِيْهَا مَدْخَلَ الظِّلِّ رَأسُهُ

وَسَائِرُهُ بَادٍ إلى الشَمْسِ أَجْمَعُ))[٣٨]

فقد كان الوجه أن يقول مدخل رأسه الظّلَّ ؛ لأنَّ الرأس هو الداخل في الظّلِّ ، والظّلُّ : هو موضع الدخول ، فهذا النوع من التعبير قد جرى على (الاتساع والقلب) عند سيبويه، غير أنه قبيح ولا يتصف بالجودة ، فإذا عرضنا هذا اللون من التعبير على أهل البصر بالكلام والنقد ، فإننا نراهم مختلفين في قيمته الفنية ، وأثره البلاغي ، فالقاضي الجرجاني يخبرنا أن القلب كثير في شعر العرب ولا يعقب بشيءٍ بعد ذلك [٣٩] ، ومعنى هذا أنه يُحَبِّذُهُ ولا يَرُدُّهُ ، فالقول: بأنه كثير في شعر العرب دليل على سلامته ، وصحته وحسنه ؛ لأنَّ الشعراء يتوخون في شعرهم الحسن والإجادة ، ولو كان يحمله على الضرورة الشعرية لعَبَّرَ عن ذلك ، ولكنه اقتصر على الأخبار بأنه كثير في شعر العرب ، والآمدي له رأي مختلف تماما عن رأى الجرجاني فهو يرفض القلب نهائياً ، ولا يأخذ به في صورة من صوره ، بل يؤوله إذا وجده في القرآن ، ويخطئه إذا وجده في الشعر؛ لأنَّ القلب إنما جاء في كلام العرب على

السهو ، والتأخر لا يرخص له بالقلب ، لأنَّه يحتذي على أمثلهم ، ويقتدي بهم ، وليس ينبغي له أن يتبعهم فيما سهوا فيه ، فإنَّه قيل أن القلب قد جاء في القرآن ، ولا يجوز أن يقال أن ذلك على سبيل السهو والضرورة ، لأنَّ كلام الله _ تعالى عن ذلك _ وما يضربونه من أمثلة يتبين فيها القلب في القرآن يؤولها الآمدي جميعا وَيَعُدُّهَا صحيحة مستقيمة لا قلب فيها ، فمثلاً **قوله تعالى:{ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} (القصص : ٧٦)** ، يقولون إن فيها قلباً ؛ لأنَّ المعنى وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح ، أو تنهض بثقلها، فينفى الآمدي وجود القلب في الآية فيقول: إنما أراد، اللّه تعالى ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أي تميلها من ثقلها ، وهكذا يجرى الآمدي على التأويل في كل الآيات القرآنية التي يستدلون بها على صحة القلب، غير أن الآمدي يضطر إلى قول القلب إذا كان المعنى المقلوب وغير المقلوب متقاربين، مثل قول الحطيئة من[الطويل] :

فَلَمَّا خَشِيْتُ الهُونَ وَالعَيْرُ مُمْسِكٌ

عَلَى رَغْمِهِ مَا أَمْسَكَ الحَبْلَ حَافِرُهْ (٤٠)

قالوا وكان الوجه أن يقول: ما أمسك الحافر حبله وكلاهما متقاربان ؛ لأنَّ الحبل إذا أمسك الحافر أيضا شغل الحبل ثم يقول: _ وهذا _ أي التأويل _ كلُّه سائغ حسن ، ولكن القلب القبيح لا يجوز في الشعر ولا في القرآن ، وهو ما جاء في كلامهم على سبيل الغلط_ وأخيراً يبين الآمدي سبب رفضه للقلب ، واعتباره من ألوان البلاغة ، بأنّه لا يجد فيه فائدة وإنما يلجأ إليه الشعراء للضرورة ليس إلا ، ويتعجب من رأى المبرد في القلب فيقول: ((وقال المبرد: القلب جائز للاختصار إذا لم يدخل الكلام لبس: كأنَّه يجيز ذلك للعرب الأوائل دون المتأخرين ، وما علمت أحد قال للاختصار غيره، فلو قال لإصلاح الوزن ، أو للضرورة ، كما قال غيره كانت ذلك أشبه))(٤١) .

فالقلب إذن ليس من أنواع البلاغة عند الآمدي ، وهو بذلك يتفق في نظرته مع سيبويه في ردِّه ووصفه بالرداءة ، وقد كان يحق للبلاغيين أن يهملوه في كتبهم ولهم في ذلك مندوحة بما قاله سيبويه ، والآمدي ، وسوقهما للحجة بعد الحجة ، وخلو القلب من الفائدة التي يلجأ إليها البلاغي لحسن البيان، أو قوة التأثير، وما كان أغنانا عن الحديث عن القلب عند سيبويه باعتبار أنه ليس جديراً بهذه من ألوان البلاغة غير أننا رأينا السكاكي _ كما ذكرنا في صدر هذا الكلام _ يطنب في مدحه ويجعله مما يزيد الكلام ملاحة ، ويصل به إلى كمال البلاغة . وكيف يكون ذلك ونحن لا نرى فيه إلا نوعاً من التكلف السقيم ، والتعقيد الشنيع الذي يؤدى إلى اللبس من جهة ، ويخفى الحسن من جهة أخرى ، وهو أن ترك أثراً في النفس فإنما هو أثر الزهر فيه ، والانصراف عن سماعه ، حتى إن بعض النقاد مثل قدامة والمرزباني: ((قد اعتبرا القلب من عيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً في شعر العرب))(٤٢) .

القَصْر:

لم يكن حديث سيبويه عن القصر مسهباً ، وإنما هو مبتور بتراً ، فقد تحدَّث عنه بما لا يتجاوز الأسطر الثلاثة ، وربما لم يتجاوز السطر الواحد في بعض المواضع ، ورغم هذا الاختصار الشديد ، فقد تحدَّث عنه بما يفيد ، فهو يحدثنا عن قصر القلب ، وقصر التعيين في عبارة قصيرة موجزة من خلال حديثه عن النعت يقول: ((ومنه مررتُ برجلٍ راكع لا ساجد؛ لإخراج الشك أو لتأكيد العلم فيهما))(٤٣) .

ونظرة سيبويه في مقاله هذا أراد أن المخاطب متردد في وصف الرجل بأحد الوصفين ، الركوع أو السجود ، فأراد مع المتكلم إزالة هذا الشك وهو ما سُمِيَ في عُرْف البلاغيين بقصر التعيين ، أو أنه أراد أن يؤكد للمخاطب أن الرجل متصف بالركوع وليس بالسجود .

وهذا ما سُمِّيَ بعد ذلك بقصر القلب هذا فيما يختصُّ بالقصر بأحد حروف العطف وهو (لا) ، أما حديثه عن بقية حروف العطف وصلتها بالقصر، فلم يكن فيها واضحاً كل الوضوح ، وإنما غلب عليه الطابع النحوي الصرف ، لا البيان البلاغي(٤٤).

والقصر في اصطلاح البلاغيين هو : تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، وسيبويه أفاد هذا المعنى الاصطلاحي ، فقد خصص ما قبل إلا بما بعدها ، ونفى ما سوى ذلك كما ذكر

أداة القصر ، وهي النفي والاستثناء غاية ما في الأمر أن سيبويه لم يذكر كلمة القصر، ولكنه أفاد معنى القصر كاملاً ، وهي تلك الفائدة التي تدخل في باب القصر، لما يؤديه هذا الضمير من التخصيص ، أو تأكيد التخصيص .

وتأكيد التخصيص مما أكد عليه _البلاغيون _ في بحثهم عن القصر أما التقديم فهو عنده يفيد الاهتمام بأمر المقدم ، أو العناية بشأنه، أو التنبيه له ، ولا يفيد التخصيص ، ومن ثمَّ فان سيبويه لم يتناول من طريق القصر غير النفي ، والاستثناء، والعطف ، ولكنه لم يذكر شيئا عن ضمير الفصل ، أو إنما، أو التقديم على أن واحدة منها تفيد القصر.

الفصل والوصل:

وتحدَّث سيبويه في مواضع من الكتاب على لون بلاغي آخر هو: الفصل والوصل بصفة عامة ، أو شبه كمال الاتصال كما نعرفه بصفة خاصة... وطبيعي أن سيبويه لم يذكر هذا المصطلح البلاغي في عمومه أو خصوصه ، فذلك شيء لم يعهد في زمنه ، و إنَّما عُرِفَ فيما بعد على يد الفرَّاء ، ولكن الذي ذكره سيبويه هو ما يفيد شبه كمال الاتصال ، وإن لم يصرح باسمه ، (ففي باب بدل المعرفة من النكرة ، والمعرفة من المعرفة ، وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأه) يقول :((أما بدل المعرفة من النكرة فقولك: مررت برجل عبد اللّه ، كأنَّه قيل له بمن مررت ، أو يظن أنه يقال له ذلك فأبدل مكان من هو أعرف منه... ومنه قول الشاعر:

وَلَقَدْ خَبَطْنَ بِيُوتَ يَشْكُر خَبْطَةً

أَخْوَالُنَا وَهُم بَنُو الأَعْمَامِ

كأنه حين قال خبطن بيوت يشكر قيل له : ما هم فقال: أخوالنا وهم بنو الأعمام ، وقد يكون مررت بعبد اللّه أخوك كأنَّه قيل له: من هو أو من عبد اللّه فقال: أخوك... وتقول مررت برجل الأسد شدة ، كأنك قلت: مررت برجل كامل ، لأنَّك أردت أن ترفع شأنه ، وإن شئت استأنفت كأنه قيل له: ما هو))[٤٥].

و(في باب ما لا يعمل في المعروف إلا مضمراً) يتحدث عن هذا الأسلوب أيضا في تقدير السؤال والإجابة عنه يقول: ((وأما قولهم: نعم الرجل عبد اللّه، وعبد اللّه نعم الرجل، كأنه قال: نعم الرجل فقيل له: من هو فقال: عبد اللّه ، وإذا قال: عبد اللّه فكأنه قيل له: ما شأنه فقال : نعم الرجل))[٤٦] ، ونلاحظ هنا أن سيبويه ضَمَّنَ الجملة الأولى سؤالا واعتبر الجملة الثانية جوابا لهذا السؤال المقدر، بل نلاحظ أنه نصَّ أيضاً على أن الجملة الثانية استئناف ، والذي نعرفه من كتب المتأخرين أن هذا من مواضع الفصل ؛ لأنَّ الجملة الثانية فصلت عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويُسَمُّونَ هذا النوع شبه كمال اتصال ، أو يسمونه استئنافاً.

المجاز العقلي :

وتناول سيبويه ذلك النوع الذي أطلق عليه المتأخرون : المجاز العقلي ، أو المجاز الحكمي ورأى أنه توسع واختصار في الكلام ، وعلى الرغم من تناوله هذا المجاز في مواضع متفرقة من الكتاب ، إلاَّ أنَّها إذا جمعت تكاد تعطينا فكرة قريبة إلى المجاز العقلي الذي نعرفه اليوم ، و سنحاول هنا أن نبينها كما فسرها و نقلها عن لسان العرب ، ونستهل ذلك بما ذكره قوله:

وتقول مطر قومك الليل والنهار على الظرف... وإن شئت رفعته _أي: الليلُ والنهارُ _ على سعة الكلام كما قيل: صيد عليه والنهار، كما قال نهاره صائم ، وليله قائم ، وكما قال جرير من [الطويل] :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلانَ فِي السَّرَى

وَنُمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِيِ بِنَائِمِ[٤٧]

وكما قال الشاعر:

أَمَّا النَّهَارَ فَفِي قَيْدٍ وَسِلسِلَةٍ

وَاللَّيْلُ فِي قَعْرِ مَنْحُوتٍ مِنَ السّاجِ

فانه جعل النهار في قيد والليل في جوف منحوت[٤٨] ، فإسناد المطر إلى الليل والنهار وإسناد الصيد كذلك ، والإخبار عن النهار بأنه صائم ، والليل بأنه قائم ، وفي بيت جرير حيث جعل الإخبار عن الليل بالنوم اتساعاً ومجازاً ، والمعنى وما المطي بنائم في الليل ؛ لأنَّ الليل لا ينام، ولا يوصف بأنه نائم ، فهو ليس حيواناً ، ولا إنساناً ، فكان حقه _ إذن _ أن يقول: بمنوم فيه .

أما البيت الثاني فقد أخبر عن النهار بكونهن في سلسلة ، وعن الليل باستقراره في جوف اتساعا ومجازا ، وهذا كله يرد إلى المجاز العقلي الذي عرف بهذا الاسم عن المتأخرين ، وفي موضع آخر يقول: ((سرقت الليل أهل الدار فتجرى الليلة على الفعل في سعة الكلام كما قيل صيد عليه يومان... والمعنى إنما هو في الليلة ، وصيد عليه اليومين غير أنهم أوقعوا الفعل عليه لسعة الكلام... ومثل ما أجرى مجرى هذا في سعة الكلام والاستخفاف ، **كقوله عز وجل** :{ **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ**} (سبأ: ٣٣) ، ((فالليل والنهار لا يمكران ، ولكن المكر فيهما))[٤٩] ، وواضح أن هذا من المجاز العقلي ، والآية الكريمة تدور في كتب البلاغة على أنها من هذا الباب ، وسيبويه حين يبسط هذا النوع من الكلام على أنه اتساع في أكثر من موضع من كتابه ، كأنَّه يحاول أن يقنعنا به ، فهو يلح علينا في قبوله والاعتراف به ، ولا يترك مناسبة إلا ذكره (ففي باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى) يقول : ((صيد عليه يومان، وإنما المعنى صيد عليه الوحش في يومين، ولكنه اتسع واختصر، **ومثله:** { **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ**} - سبأ: ٣٣-))[٥٠] ، ومن ذلك قول الخنساء المشهور المتداول في كتب البلاغة على أنه من شواهد المجاز العقلي ، يذكره سيبويه فيقول : ((ومن ذلك قول الخنساء من [الطويل]:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا أَدَّكَرَتْ

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[٥١]

فجعلها الإقبال والإدبار، فجاز على سعة الكلام ، كقولك نهارك صائم ، وليلك قائم))[٥٢] ، وابن الأنباري يرى في كلام الخنساء حذف المضاف فهي تريد إنما هي ذات إقبال وإدبار[٥٣] ، ولكن ابن جني لا يؤيد هذا الرأي ويضعِّفُهُ ، فالخنساء تريد أن تصف ناقتها كأنَّها مخلوقة من الإقبال والإدبار وليس على حذف المضاف أي ذات إقبال وذات إدبار ، ويكفيني من هذا كله **قول اللّه عز وجل** { **خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**} (**الأنبياء :٣٧**) ؛ وذلك لكثرة فعله إيَّاه واعتياده له[٥٤] ، ونرى عبد القاهر ينقل قول الخنساء ويعدُّهُ من المجاز الحكمي ، وأن الخنساء لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناها فتكون قد تجوَّزت في نفس الكلمة ، وإنما تجوَّزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ، ولغلبة ذلك عليها واتصاله بها ، وأنَّه لم يكن لها حال غيرها كأنَّها قد تجسَّمت من الإقبال والإدبار وقلت : إنَّما هي ذات إقبال وإدبار ؛ لأفسدنا الشعر على أنفسنا ، وخرجنا إلى شيء مغسول ، وإلى كلام عامي مرذول... و هذا مما لا مسوغ له عند من كان صحيح الذوق، صحيح المعرفة، و نسابة للمعاني))[٥٥] ، وقد استشهد الزمخشري بهذا البيت عن **قوله تعالى** :{ **وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ اتَّقَى** }(**البقرة : ١٨٩**) على أن الإسناد مجازى[٥٦] ، بدعوى أن المتقي هو عين البر بجعل المؤمن كأنه تجسَّد من البر ، وكان الزجاج يأبى غير هذا[٥٧] فسيبويه قد نبَّه _ إذاً _ على هذا البيت ، وما فيه من مجاز، وإن لم يضع له الاسم الاصطلاحي ، ولكنَّه بذلك قدَّم للنحاة والبلاغيين مادة يتناولونها في كتبهم ، ويتعهدونها بالشرح والتفسير، متابعين في ذلك رأي سيبويه ، أو مخالفين له، ومهما يكن فإن سيبويه بهذه الملاحظة اليسيرة أغنى أبحاث البلاغة ، حتى صار العلماء من بعده عالة عليه في هذا الباب، فالقول _ إذن _ بأن عبد القاهر الجرجاني هو مبتكر المجاز العقلي[٥٨] ، فيه كثير من التسامح ، بل أنَّه زعم يدحضه ما عثرنا عليه من أدِّلة تعطي الأسبقية في تناول هذا الفن من فنون البلاغة ليس الى كثير من النحاة الذين سبقوا عبد القاهر فحسب ، بل إلى سيبويه أيضا .

المبحث الثاني : مباحث علم البيان عند سيبويه :

وفي البيان تناول التشبيه ، والاستعارة بالكناية ، والاستعارة في الحروف ، والمجاز بالحذف، والكناية ، وإن كانت بمعناها اللغوي .

التشبيه:

ولم يقتصر حديث سيبويه في الكتاب على ألوان المعاني ، بل تناول أيضا بعض مباحث علم البيان، كالتشبيه ، والاستعارة ، والمجاز، والكناية ، وغير ذلك ، وعندما تناول التشبيه ، والتمثيل منه بصفة خاصة ، لم يتناوله منفرداً بحيث قصد أن ينبِّه إلى هذا النوع من التعبير، وإنما تحدث عنه من خلال موضوع آخر ، وهو أن الكلام: منه ما يأتي على جهة الاتساع والإيجاز، وما فيه من اتساع ومجاز يشمل أبواباً كثيرة

بحيث يحتوى المجاز العقلي ، مثل **قوله تعالى: { بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}** (سبأ :٣٣) والمجاز المرسل ، **كقوله تعالى : { وَاسأَلِ القَرْيَةَ} (يوسف : ٨٢)** والتشبيه التمثيلي ، **كقوله تعالى :{ وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءً}** (البقرة : ١٧١) فهذه الخيوط الثلاثة يَضُمُّهَا عنده نسيج واحد هو الإيجاز والاتساع ، أو هي صور من التعبير في إطار واحد ، والحق أن سيبويه عندما تحدّث عن التشبيه ذلك اللون البلاغي المشهور تحدّث عنه بطريقة بسيطة ساذجة لم يكن لها التأثير الكافي على البلاغيين من بعده ، بل إننا لو عقدنا مقارنة بين ما قاله سيبويه عن التشبيه وبين ما قاله المبرد مثلاً لوجدنا هوة واسعة عميقة بين نظرة الاثنين إليه ، وعلى الرغم من ذلك فلابد من إلقاء نظرة على ما تركه سيبويه من ملاحظة على فن التشبيه ، (ففي باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى ؛ لاتساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار)، يذكر سيبويه ألوانا من التعبير يطلق عليها هذا الوصف كالمجاز العقلي والمرسل ثم يقول: ((ومثله في الاتساع ، **قوله عزّ وجل:{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ }** (البقرة: ١٧١) ، فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ؛ وإنما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى))[٥٩] ، فالآية فيها إيجاز، والمخاطب يعلم أن في الآية إيجازاً. ولولا هذه القرينة لما جاز الإتيان بالإيجاز في الآية حتى لا يغمض الأمر على المخاطب . فمن غير المعقول أن يُشَبَّه الكافر بالداعي للإيمان ، ولا يجد من ينصت إليه أو يُلَبِي دعوته ، ولكن المعقول أن تُشَبَّه وعظ الكافرين الذين لا يستجيبون بدعوة الأغنام التي لا تعي ، ومن يسمع الآية يقفز إلى ذهنه هذا المعنى فيعلم أن في الآية اختصاراً ، والزجاج يُعَقِّب على ذلك بقوله : ((قال سيبويه : وهذا من أفصح الكلام إيجازا ، واختصارا ، ويلتمس وجهاً آخر للإيجاز فيقول ؛ ولأنَّ اللّه تعالى أراد أن يشبِّه شيئين بشيئين: الداعي والكفار بالراعي والغنم ، فاختصره ولكنه اكتفى بذكر الكفار من المشبه ، والراعي من المشبه به ، فدلَّ ما أبقى على ما ألقى ، وهذا معنى كلام سيبويه))[٦٠].

وكتاب سيبويه لا يخلو أيضا من ذكر بعض أدوات التشبيه فهو يروى لنا أنه : ((سأل الخليل عن كأن فزعم(أن) لحقتها الكاف للتشبيه ؛ ولكنها صارت مع أن بمنزلة كلمة واحدة))[٦١] كما يتحدث عن الكاف الزائدة ، وأن ناسا من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة مثل، قال حميد الأرقط : **فصيروا مثل كعصف مأكول**[٦٢] ، فقصد المبالغة في التشبيه فجمع بين الكاف ومثل. فالقول _ إذن_ بأن ((الجاحظ أول من تنبَّه إلى أدوات التشبيه كالكاف وكأن ومثل)) [٦٣] ، ظاهر الفساد ، ويتحدث أيضا عن وجه الشبه، وأن الطرفين لا يكونان متشابهين ومتساويين في كل الأمور، وإنما التشبيه ليس من كل وجه فيقول:((وقد يشبهون الشيء بالشيء ، وليس مثله في جميع الأحوال وسنرى ذلك في كلامهم كثيراً))[٦٤] ، وهكذا يمكن القول _ بعد شرح التشبيه عند سيبويه والكيفية التي أظهره بها، وتناوله لبعض أنواعه وأدواته بأنَّ سيبويه قد أسهم بنصيب ما في باب التشبيه ، وهو نصيب ضئيل الأثر زهيد القيمة ، إلا أننا نلتمس له العذر حيث انه كان يهتم بوضع القواعد العلمية النحوية ، وليس بإرساء الأسس الفنية البلاغية حتى يحصي الأبواب ، ويفصِّل فيها القول إذا صادفه لوناً بلاغياً كالتشبيه أو غيره من فنون البلاغة.

الاستعارة في الحروف:

وننتقل إلى التوسع في الحروف وهي كثيرة في اللغة ، متعددة الجوانب ، واسعة التصرف ، وينوب بعضها عن بعض في كثير من المواضع ، مما يكسب اللغة ثراء، ومرونة واتساعا ، وقد استعملت حروف الجر استعمالاً كثيرا. حتى إننا لا نسرف في القول إذا زعمنا أن كل حرف قد ورد في غير معناه. وكتاب مشكل القرآن لابن قتيبه يزخر بأمثلة تؤيد وجهة نظرنا فما من حرف إلا وله شاهد من القرآن يبين استعماله بمعنى آخر غير معناه الأصلي. ولكن الذي يهمنا هنا أن نقول: أن الاستعارة في الحروف يشيع استعمالها لتؤدي أغراضا متنوعة ومعاني مختلفة.

والعرب حينما يتوسعون في استعمال الحروف ، إنما يريدون تصوير معناها وأثرها في البيان، وسيبويه قد لاحظ توسع اللغة في استعمال الحروف ، وركونها إلى مواضع مختلفة غير المعاني التي وضعت لها ، ويحتم علينا البحث أن نذكر استعمالات الحروف عند سيبويه ، وما دمنا نتحدث عن البلاغة في كتابه، ونحن نعلم: ((أن الحرف إن قرن بالملائم كان حقيقة ، وإلاَّ كان مجازاً في التركيب))[٦٥] .

وتحدث سيبويه عن استعارة الحروف بنصاعة بيان حتى لا يدع مجالاً للتأويل ، أو التحمل في إثبات أن هذا النوع قد ورد في الكتاب ، أو أن سيبويه قد تحدث عنه. اقرأ قوله: ((أما على: فاستعلاء الشيء تقول هذا على ظهر الجبل وهو على رأسه ، فيكون أن يطوى أيضا مستعليا كقولك: مرَّ الماء عليه ، وأمررت يدي عليه . وأما مررت على فلان فجرى هذا كالمثل وعلينا أمير كذلك ، وعليه مال أيضا ، وهذا لأنه اعتلاه ، ويكون مررت عليه أن يريد مروره على مكانه ولكنه اتسع ، وتقول عليه مال وهذا كالمثل كما يثبت الشيء على المكان ، كذلك يثبت هذا عليه ، فقد يتسع هذا في الكلام ويجيء كالمثل))[٦٦] _ فقوله : مررت على فلان ، وعلينا أمير، وعليه مال ؛ وهذا لأنَّه شيء اعتلاه واضح كل الوضوح في أن الاستعلاء ليس حسيا ، وإنما هو معنوي فالدين يعلو عليهم، والرجل يمرُّ على الرجل فكأنَّه ثبت على مكانه وعلاه ، وهذا اتساع في اللغة لا يدل على المرونة في استعمال الألفاظ فحسب، وإنما أيضا يبرز الصورة ويوضحها كل الوضوح ، ويبين أثرها في المعنى ، أما إجراء الاستعارة فليس يعنينا ، ولا يعني سيبويه ولا المتقدمين منها شيء ، وإنما هو من خصوصيات العلماء المتأخرين فقط ؛ لتسويغ وضع الحروف في غير مكانه ، وكما تحدَّث سيبويه عن اتساع (على) في معناها ، تحدَّث أيضا عن (في) ، وأنها تتسع في الكلام فيقول: ((و إنما (في) فهي للوعاء كقولك هو في الجراب ، وفي الكيس ، وهو في بطن أمه كذلك هو في الغل ؛ لأنَّه جعله إذا ادخله فيه كالوعاء له وكذلك هو في القبة وفي الدار. وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله))[٦٧] ، فالحرف في قوله : _هو في الغل_ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له. فيه معنى المجاز؛ لأنه مستعمل في غير الحقيقة ؛ ولأن في متعلق معنى الحرف: وهو الغل نوعاً من التشبيه والمقاربة ، بين الشيء والشيء حيث كان الغل لا يصلح للظرفية الحقيقة وهل تخرج الاستعارة في الحروف عن هذا المعنى .

الاستعارة بالكناية :

ذكر سيبويه الاستعارة بالكناية ، كما ذكر قرينتها ، وهي: الاستعارة التخييلية يذكر ذلك نقلاً عن أحد الذين يثق بهم من العلماء وربما كان الخليل. وإذا أردنا أن نكشف عن الاستعارة المكنية في بيت الخنساء:

وَدَاهِيَة مِنْ دَوَاهِي المَنُونِ يُرْهِبُهَا النَّاسُ لا قَالِهَا

لقلنا مثلاً: شبهت الخنساء الداهية بحيوان مفترس شديد البأس ثم حذف المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الفم هنا قرينة الاستعارة المكنية ، أو ما يجوز أن نطلق عليه أيضا الاستعارة التخييلية. وسيبويه لم يكن وحده مدركاً لهذا الفهم ، بل أدركه معه من نقل عنه ، غير أنه لا يعطي لما يدرك أسماء اصطلاحية ، فهو يقول عن هذا البيت :((فجعل للداهية التي حدثنا بذلك من نثق به))[٦٨] و إذا أردنا الآن أن نضع اصطلاحها بلاغياً للداهية التي يكون لها فما ، لما ودنا غير الاستعارة المكنية للداهية والاستعارة التخييلية للفم ، وابن سنان الخفاجي يتعرض في الفصاحة لهذا البيت فيقول: وأنشد سيبويه ، للخنساء البيت المتقدم :

وَدَاهِيَة مِنْ دَوَاهِي المَنُونِ يُرْهِبُهَا النَّاسُ لا قَالِهَا

فجعل للداهية فماً استعارة [٦٩] ، وبذلك يكون سيبويه قد سبق غيره من العلماء في تناول هذين النوعين من الاستعارة أيضاً ، وعندما يتحدث سيبويه عن الكناية فيعرفها بالمعنى الاصطلاحي المعروف بأنه :((اللفظ الذي يراد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى)) ، وإنما يريد بها المعنى اللغوي فقط بأن يريد مجرد الخفاء والستر حين يتكلم بشيء وهو يريد غيره، أو كان جاهلاً باسم المحدث عنه. ((و تقول العرب يافل... و إنما بني على حرفين، لأن النداء موضع تخفيف، و لم يجز في غير النداء لأنه جعل اسما لا يكون إلا كناية لمنادى و أما

فلان فإنما هو كناية عن اسم به المحدث عنه خاص، قد اضطر الشاعر فبناه حرفين في هذا المعنى . قال أبو النجم : **في لجة أمسك فلانا عن فل** [٧٠].

فهنا فل وفلان بمعنى واحد وهما كناية عن شخص معين ، لا نعرف اسمه على وجه التحديد، أو عن شخص مجهول، غير أن فل استعملت على حرفين فقط ؛ لأن النداء موضع تخفيف ، ويجوز فيه ما لا يجوز لغيره ، واستعمل في البيت على حرفين من غير نداء للضرورة ، وفي موضع آخر من الكتاب يذكر سيبويه أن كلمة فلان تستعمل أحيانا كناية للآدمي فهي مجردة من (آل) فتقول فلان ، وإن استعملت كناية لغير الآدمي اقترنت (بأل) فتقول: الفلان ويعبر عن ذلك بقوله : ((فإذا كنيت من غير الآدميين قلت الفلان والفلانة، والمهن والهنة، جعلوه كناية عن الناقة التي تسمى بكذا، والفرس يسمى بكذا ؛ ليفرقوا بين الآدميين والبهائم))[٧١] فسيبويه_ إذا _لم يكن يعرف الكناية الاصطلاحية ، ولم يشر إليها إشارة تنبيء عنها ، وهو ما كنا نود أن نعثر عليه في كتابه ، فإننا نلتمس العذر لسيبويه ؛ لأن الكناية الاصطلاحية لم تعرف تقريبا إلا في نهاية القرن الثالث الهجري على يد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) ، والمبرد (ت٢٨٥هـ) اللذين تحدثا عن أقسامها بصفة عامة ، أما قبل ذلك فكانت تستعمل في المعنى اللغوي ، وقلَّما نراها استعملت في معناها الاصطلاحي المعهود .

المبحث الثالث : مباحث علم البديع :

لم يكن كتاب سيبويه مقصوراً على ذكر أنواع من المعاني والبيان ، بل تجاوز ذلك إلى بعض ألوان من البديع في عُرْف المتأخرين ، وأول هذه الألوان : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وقبل أن نخوض في هذا اللون البديعي ينبغي أن نمهِّد له فنقول: إن الاستثناء نوعان : منه ما يتعلق باللغة ، ويتمثَّل في استخراج القليل من الكثير، وهذا نطرحه الآن جانباً ؛ لأنه لا يعنينا في دراسة البديع ، وإن كنَّا قد تناولناه في علم المعاني باعتباره من أدوات القصر... نوع آخر يفيد فوق المعنى اللغوي ما يزيد به الكلام حسنا ويستحق أن يدرج في أبواب البديع ، وهذا هو الذي نتعرض له. فالاستثناء الفني الذي نطلق عليه: ((تأكيد المدح بما يشبه الذم)) قد ورد في كتاب سيبويه فهو في باب (ما لا يكون إلا على معنى ولكن) من الاستثناء يذكر قول النابغة[البسيط]:

وَلا عَيْبَ فِيْهِمْ غَيْرَ أَنَ سُيُوفَهُمْ

بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[٧٢]

أي : _ ولكن سيوفهم بهن فلول_ ويعقِّب الأعلم على هذا البيت ويشرحه ؛ ليبين مقصد سيبويه ومراده فيقول : ((أن سيوفهم ليس بعيب ؛ لأنه دال على الإقدام، ومقارعة الأقران. فالنابغة مدح آل جفنة ملوك الشام فنفى عنهم كل عيب ، وأوجب لهم الإقدام في الحرب ، واستثنى ذلك من جملة العيوب مبالغة في المدح وهو ضرب من البديع يعرف بالاستثناء ، فثلم السيوف وتفللها ليس عيباً حتى نخرجه من الشطر الأول من البيت))[٧٣] ؛ ولذلك فقد نبَّه سيبويه على أن الاستثناء منقطع بمعنى لكن ، وهذا البيت مشهور قد تداوله العلماء في تصانيفهم ، وقد أورده علماء البديع شاهداً على تأكيد المدح بما يشبه الذم ، فإنَّه نفى العيب عن هؤلاء القوم على جهة الإحاطة ثم أثبت لهم ما يوهم أنه عيب ، وهو تكسر السيوف في مضاربة الأعداء ، وهذا ليس بعيب ، بل هو غاية المدح ، ومن ثم فقد أكد المدح بما يشبه الذم أي أنه مدح في صورة ذم.

وقد يكون أوضح في التدليل على أن سيبويه قد عرف هذا اللون البديعي ما عقب به على بيت النابغة الجعدي من[الطويل] :

فَتَىً كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ

جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِن المَال بَاقِيَا[٧٤]

فيقول : _كأنه قال_ ولكنه مع ذلك جواد))[٧٥] ، فواضح أن سيبويه يفهم من البيت أن الشاعر يضيف للممدوح صفة مدح إلى صفة مدح ، ولا يسلبها عنه ، وفي ذلك تأكيد للمدح ، وإن فهم من ظاهر الاستثناء أنه ذم وليس مدحاً ، وقال الأعلم عن هذا البيت هو مثل ما قاله عن بيت النابغة الذبياني : ((فهو ذم استثنى جوده وإتلافه للمال من الخيرات التي كملت له مبالغة في المدح فجعلها في اللفظ كأنّهما من غير الخيرات كما جعل تفلل السيوف كأنَّه من العيوب))[٧٦] ،

وهذا البيت أيضا من شواهد علماء البلاغة على أنه من البديع ، ويدخل تحت باب تأكيد المدح بما يشبه الذم... ولو طالعنا كتاب البديع لابن المعتز لو جدناه قد عدَّ النوع الخامس من المحسنات... تأكيد المدح بما يشبه الذم... واستشهد بهذين البيتين اللذين ساقهما سيبويه ، واقتصر عليهما دون غيرهما ، وبطبيعة الحال لم يشر إلى سيبويه أية إشارة ، وإن كان قد أشار إلى الخليل في بابي التجنيس والمطابقة .

التجريد:

تحدّث سيبويه عن المدح الذي يشبه الذم ، ونراه قد تناول كذلك التجريد ، وحديثه عن التجريد لا ينقع الغلة ، ولا يطفيء الظمأ إلى معرفته كلية ، وإنما ذكره في إيجاز شديد ، وبمثال واحد ، ورغم ذلك فان العلماء لم يهملوا رأي سيبويه ، بل نقلوه في كتبهم ونسبوه إليه (ففي باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات) يقول سيبويه: ((ولو قال أما أبوك فلك أب لكان على قوله : فلك به أب أو فيه أب ، وإنما يريد بقوله فيه أب: مجرى الأب على سعة الكلام))[٧٧] فقوله: لك به أب ، أو لك فيه أب ، نوع من التجريد الذي يكون الانتزاع فيه بالباء أو بفي كقولهم : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر، أو **كقوله تعالى: { لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْد} (فصلت :٢٨)** ، وابن جني يردد هذا النوع الذي تستعمل فيه الباء من التجريد إلى سيبويه حيث يقول: ((ومنه مسألة الكتاب أما أبوك فلك أب : أي لك منه ، أو به ، أو بمكانه أب))[٧٨] ، وما فعله ابن جني من إشارة إلى أن وجد هذا النوع من التجريد وتفسيره في كتاب سيبويه ، وقد فعله الزجاج أيضاً[٧٩] ، وفي هذا ما يبين مدى أهمية الكلمة الموجزة التي يطلقها سيبويه ، لأنَّه لا يطلق الكلمة إلا في دقة ، وبعد تحديد ، وما على العلماء بعد ذلك إلا النقل والتفسير. فالفكرة التي كان سيبويه يرعاها ويصدر عنها في تنويع مباحث النحو، وترتيب أبوابه كما تمثلت لي بالنظر والمراجعة في الكتاب ، مدارها العامل أولاً وأخيرا: نظر في الجملة حين تكلّم عن المسند والمسند إليه ، فإذا هي فعلية واسمية... ثم تكلّم عن الفعل المحذوف ، والفعل المذكور ، والمتعلقات... ثم صار إلى الجملة الاسمية فتكلّم عن الابتداء ونواسخه ، ويبدو أن النسق الذي أخذ به سيبويه هو الذي ألهم علماء المعاني فكرة انحصار مباحثه في أبوابه الثمانية المعروفة. وليس يسع المرء وهو يقرأ كلامهم في ذلك إلا أن يتبين اقتباسهم منه ، واقتداءهم بهداه))[٨٠] ، والأبواب الثمانية التي تنحصر فيها مباحث علم المعاني هي أحوال الإسناد الخبري ، والمسند إليه، والمسند ، ومتعلقات الفعل ، والقصر، والإنشاء ، والفصل والوصل ، والإيجاز، والإطناب والمساواة ؛ لأنَّ علماء المعاني _ بطبيعة الأمر _ قد اعتمدوا في مباحثهم على المسند والمسند إليه ، وما يتبع ذلك من بقية الأبواب الأخرى ، وهذا النهج الذي ساروا عليه لم يكن معروفا عند علماء النحو وقت تحديد العلوم وتقعيد القواعد ، وإنما الطريق الذي سلكه النحاة في ذلك الوقت ينحصر في أثر العوامل وما يعقبها من حركات الإعراب ، وما فيها من رفع ، ونصب ، وخفض ، وجزم ، وليس إلى العوامل نفسها ، وهذا النهج مخالف لنهج سيبويه الذي حصر اهتمامه بالعمل نفسه فتولدت عنه هذه الأقسام ، وانتفع بها البلاغيون بعد ذلك في وضع علم المعاني ، وحصر أبوابه [٨١] .

ونجد سيبويه في مواضع كثيرة من الكتاب يتناول تأليف العبارة ، وتركيب الكلمات ، وما فيها من صحة وحسن ، أو ما يطرأ عليها من فساد وقبح ، ولا نستطيع هنا أن نتعقب كل ما شرحه سيبويه، وأطنب في شرحه ، وزاده تفصيلاً بعد تفصيل ، مما يتصل بالنظم ، أو توخي مراعاة معاني النحو، فذلك يحتاج إلى بحث خاص يتفرغ له أحد الباحثين ، وإنما يكفي أن نشير هنا إلى أن سيبويه قد أدراك معنى نظم الكلام، وأن النحو عنده لم يكن مجرد إعراب لأواخر الكلمات ، وما فيها من رفع ، ونصب ، وخفض ، وجزم ، بل كان النحو والبلاغة صنوان فتمزَّقت أوصال العلمين ، وكان هذا الفصل جناية عليهما معا وبعد . فإذا كان عبد القاهر هو الذي ينسب إليه ابتكار نظرية النظم ؛ لأنَّه بسطها وفصلها وطبقها على أبواب جمة من البلاغة فإنَّ سيبويه هو الذي أمسك المصباح بكلتا يديه ، وأنار الطريق أمام عبد القاهر، وهداه إلى الغاية المنشودة ، أو بعبارة أخرى إذا كان

النظم قد أصبح على يد عبد القاهر بمثابة شجرة عظيمة ، شاهقة ، متعددة الأغصان ، مثقلة بالثمار، فان سيبويه هو الذي ألقى البذرة قبل أن تبرز الشجرة أمام العيون بمئات السنين .

الخاتمة :

١. تشكل المسائل البلاغية التي طرقها سيبويه في كتابه خطوة مهمة في تاريخ البلاغة ، وإضاءة مميَّزة في تحديد طرق البلاغة وسبلها كافة ولذلك فان كثيراً من العلماء الذين يعتد بهم في تاريخ البلاغة قد اغترف من هذا البحر الزاخر دون أن ينضب له معين .

٢. من العلماء من اعترف بأنه استقى من كتاب سيبويه بعض مسائل البلاغة كعبد القاهر الجرجاني ، ومنهم من غفل ذلك إغفالاً يكاد يكون تاماً كابن المعتز، وأبي هلال العسكري.

٣. استأنس عبد القاهر بسيبويه في كثيرٍ من مباحثه كالتقديم والتأخير، والمجاز بالحذف ، والمجاز العقلي ، والتشبيه ، والتمثيل ، وأخذ ابن المعتز عنه تأكيد المدح ، وابن جني ذكر مسألة الكتاب في التجريد ، وأبو هلال العسكري أخذ عنه تقسيم الكلام إلى مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، ومحال كذب ، ويذكر أمثلته بعينها ولا يشير إليها.

٤. أفاد كلام سيبويه عن المسند والمسند إليه العلماء إلى حصر علم المعاني في الأبواب البلاغية الثمانية المعروفة .

٥. إن مما لا ينكر أثره إن لسيبويه في البلاغة جهدًا مشكورًا، وبلاءً موفورًا ؛ حيث ألقى بذوراً طيبة في أرض خصبة نمت ، وترعرعت بمرور الزمان على أيدي العلماء حتى بلغت تمام النضج على يدي عبد القاهر الجرجاني ، وغيره من العلماء ، والله أعلم .

هوامش البحث :

١) خزانة الأدب ، للبغدادي ١ : ٣٧١ .
٢) الخصائص ٢ : ٣١٢ .
٣) المزهر ٢ : ٥٤ .
٤) سيبويه إمام النحاة ، علي ناصف النجدي ١٥٨-١٥٩ ، وينظر: أثر سيبويه النحوي : ٢ .
٥) الكتاب ١ : ٢٢ .
٦) الإيضاح ١ : ٤٦ .
٧) الكتاب ١ : ٢٧ .
٨) المصدر نفسه ١ : ٤١١.
٩) المصدر نفسه ١ : ١٧ .
١٠) المصدر نفسه ١ : ١٠٩ .
١١) المصدر نفسه ١ : ٣٣ .
١٢) أسرار البلاغة : ٥٨٤ .
١٣) الكتاب ١ : ١٣٧.
١٤) المصدر نفسه ١ : ٢٨٣- ٤٢٨ ، وينظر: أثر سيبويه النحوي : ٤.
١٥) ديوان الأعشى الكبير : ٢٣٣ .
١٦) إعراب القرآن ، للزجاجي ١ : ٢٩٢ ، ٦٢٨ .
١٧) الكتاب ١ : ٩٤١ .
١٨) المصدر نفسه ١ : ٤١٢ .
١٩) المصدر نفسه ١ : ٢٠٣ .
٢٠) المصدر نفسه ١ : ٩٢ ، وينظر: سيبويه إمام النحاة : ١٦٠، وأثر سيبويه النحوي : ٤.
٢١) المصدر نفسه ١ : ١٤-١٥ .
٢٢) دلائل الإعجاز : ٨٥ .
٢٣) التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، د.عزّ الدين محمد الكردي : ٣٦ ، وينظر: أثر سيبويه النحوي:٤.
٢٤) المصدر نفسه : ٣٦ .
٢٥) مقدمة ابن خلون : ٥٢١ .
٢٦) S.anderson, introducting reading on language,united states of,1969, p . 419
٢٧) التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٣٦ .
٢٨) الفوائد المشوَّق لعلوم القرآن وعلم البيان : ٨٢ .
٢٩) الكتاب ١ : ٤١ .
٣٠) المصدر نفسه ١ : ١٦ .
٣١) المصدر نفسه ١ : ٨٣٤ ، وينظر : وأثر سيبويه النحوي : ٥ .
٣٢) الخصائص ١ : ٢٩٨ .
٣٣) المنهاج الواضح ، حامد عوني : ١٣٥ ، وينظر : أسس النقد الأدبي عند العرب : ٢٥ .
٣٤) الكتاب ١ : ٣١٩ ، ٣١٨ .
٣٥) خزانة الأدب ٢ : ٢٦١ .
٣٦) الكتاب ١ : ٣٢٥ .
٣٧) مفتاح العلوم ١ : ٢٧ .
٣٨) الكتاب ١ : ٩٢ .
٣٩) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٩٤٦ .

٤٠) ديوان الحطيئة : ٢٥، وردت في الديوان لفظة : (ما أَثْبَتَ) بدلاً من (ما أَمْسَكَ) ، الهُونَ : الهَوَانُ ، يقول : لما خشيت الهُونَ تولّيت ، وإنما يُقِيْمُ على الهُونِ الحِمَارُ راغِمًا ، ما أَثْبَت حافِرَهُ في الحَبْلِ ودامَ ، والعَيْر: يضرب به المَثَلُ في الذّلّة .

٤١) ينظر : الموازنة ١ : ٢٠٧ . ٢١٠ .

٤٢) الموشح : ١٢٨، نقد الشعر : ١٣٠ .

٤٣) الكتاب ١ : ٢١٣ .

٤٤) ينظر: أثر سيبويه النحوي : ١٣ .

٤٥) الكتاب ١ : ٦٢٢ ، ٢٢٥ .

٤٦) المصدر نفسه ١ : ٣٠٠ .

٤٧) ديوان جرير ٢ : ٩٩٣ .

٤٨) الكتاب ١ : ٨٠ .

٤٩) المصدر نفسه ١ : ٨٩ .

٥٠) المصدر نفسه ١ : ١٠٨ .

٥١) ديوان الخنساء : ٣٨٣ .

٥٢) الكتاب ١ : ٩٦١ .

٥٣) الأضداد ، لابن الإنباري : ٩٤٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١: ٤٥٣.

٥٤) الأضداد ، لابن الإنباري : ٩٤٢.

٥٥) دلائل الإعجاز : ٢٩٣ ، والدلائل والمسائل : ٢٣٣ ، ٢٣٥.

٥٦) الكشاف ١ : ٣٦١ .

٥٧) الخزانة ١ : ٣١٤.

٥٨) مقدمة نقد النثر : ٢٩ ، في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ١ : ٩٥ .

٥٩) الكتاب : ١ : ١٠٨، و ١٠٩ .

٦٠) إعراب القرآن ١ : ٧٤ .

٦١) الكتاب ١ : ٤٧٤ .

٦٢) المصدر نفسه ١ : ٢٠٣ .

٦٣) البلاغة عند السكاكي : ٣١٠ ، وينظر : البيان والتبيين ١ : ١٢٥ .

٦٤) الكتاب ١ : ٩٣ .

٦٥) المزهر ١ : ٦٣ .

٦٦) الكتاب ٢ : ٣١٠ .

٦٧) المصدر نفسه ٢ : ٣٠٣ .

٦٨) المصدر نفسه ١ : ١٥٩ .

٦٩) سر الفصاحة ، ابن سنان : ٣١ .

٧٠) الكتاب ١ : ٣٣٣ .

٧١) المصدر نفسه ٢ : ٨٤١ .

٧٢) ديوان النابغة الذبياني : ٤٤ .

٧٣) الكتاب ١ : ٧٦٢ .

٧٤) شعر النابغة الجعدي : ١٧٣ .

٧٥) الكتاب ١ : ٧٦٢ .

٧٦) كتاب البديع ، لابن المعتز :٢٤ ، وكتاب : ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، عبد المنعم خفاجي : ٤٩٦ .

٧٧) الكتاب ١ : ١٩٥ .

٧٨) الخصائص ٢ : ٧٥٤ .

٧٩) إعراب القرآن ٢ : ٥٦٦ .

٨٠) سيبويه إمام النحاة : ١٧٨ – ١٨٠ .

٨١) شروح التلخيص ١ : ٢٦١ ، و ٣٦١ .

المصادر والمراجع :

١. ابن المعتز (ت ٢٩٦) وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، عبد المنعم خفاجي ، مصر ، ط١ .

٢. التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، د. عزّ الدين محمد الكردي ، دار المعرفة ، لبنان، ط ١، ٢٠٠٧ م .

٣. أثر سيبويه النحوي في نشأة علم البلاغة ، د. سيد رضا نجفي ، قسم اللغة العربية ، جامعة أصفهان ، ٢٠٠٦ م.

٤. الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) تحقيق وتعليق: لجنة أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، أشرف عليها شيخ الكلية ، د. ط ، د.ت.

٥. البلاغة عند السكاكي ، د. أحمد مطلوب ، بغداد ، ١٩٦٤م .

٦. أسرار البلاغة في علم البيان ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، صححها محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨م .

٧. أسس النقد الأدبي عند العرب ، أحمد بدوي ، الناشر : نهضة مصر ، ط ٢ ، القاهرة .

٨. الأضداد ، محمد بن القاسم الإنباري ، الكويت ، ط٦ ، ١٩٦٩م .

٩. إعراب القرآن ، للزجاجي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مصر.

١٠. الإنصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات ابن الإنباري (ت٥٧٧هـ) ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، ١٩٥٢م.

١١. البيان والتبيين , الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ), تحقيق: عبد السلام محمد هارون , ط ٤ ، ١٩٨٤م.

١٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٣م.

١٣. الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار ، دار الكتب ، مصر ، د . ت .

١٤. دلائل الإعجاز (في علم المعاني)، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تصحيح : محمد رشيد رضا، والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، دار المنار، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

١٥. الدلائل والمسائل ، الشهرستاني ، مطبعة النجاح ، بغداد ، ١٩٥٨م .

١٦. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : د. محمد محمد حسين : ٢٣٣ ،

مكتبة الآداب بالجماميز ، مصر ، ١٩٥٠م.

١٧. سرّ الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،

ط ٤ ، ١٩٨٢م .

١٨. ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) ، تحقيق: د. نعمان محمد طه ، دار

المعارف ، ط ٤ ، د. ت .

١٩. ديوان الحطيئة : شرح ابن السكّيت (ت٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق : محمد أمين طه ، مكتبة

الخانجي ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٧م.

٢٠. ديوان الخنساء : شرحه أبو العباس ثعلب (ت٢٩١هـ) حققه : د. أنور أبو سويلم ، دار

عمار ، ط١ ، ١٩٨٨م.

٢١. سيبويه إمام النحاة ، علي ناصف النجدي ، نهضة مصر ، د. ط ، د. ت .

٢٢. شروح التلخيص ، دار السرور ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، د. ت .

٢٣. شعر النابغة الجعدي ، جمع وتحقيق : عبد العزيز رباح ، المكتب الإسلامي ، دمشق ،

ط١، ١٩٦٤م .

٢٤. الفوائد المشوّق لعلوم القرآن وعلم البيان ، لأبي عبد الله محمد بن القيِّم الجوزية(ت٧٥١هـ)،

دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، د. ت .

٢٥. في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط ٩ ، د. ت.

٢٦. كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز(ت٢٩٦هـ) ، اعتنى بنشره : المستشرق اغناطيوس

كراتشوفسكي ، دار الحكمة ، دمشق ، د. ت ، ودار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ م.

٢٧. الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد

هارون ، القاهرة ، ط٤ ، د. ت ، وطبعة الأميرية ، مصر .

٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (ت ٥٣٧هـ) ،

نشر دار المعرفة ، بيروت ، والاستقامة ، مصر ، ط ٢ ، د. ت.

٢٩. المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) عيسى الحلبي، مصر.

٣٠. المطول شرح تلخيص المفتاح : سعد الدين بن مسعود التفتازاني(ت ٧٩٢هـ) ، مطبعة

أحمد كامل ، ١٣٣٠هـ .

٣١. مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق : د. أكرم

عثمان يوسف ، مطبعة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العراق ، ١٩٨٣م، وطبعة مصطفى

الحلبي ، د. ط ، د. ت .

٣٢. مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت ٨٢١هـ) ، القاهرة ، د. ت .

٣٣. المنهاج الواضح ، حامد عوني ، القاهرة ، مصر ، ، د. ط ، د. ت .

٣٤. الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، تأليف : أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي(ت٣٧٠هـ)

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان ،١٩٤٤م.

٣٥. الموازنة بين الشعراء ، زكى مبارك مصطفى ، طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ،١٩٧٧م.

٣٦. الموشح ، لأبي عبيد الله محمد بن عمر بن موسى المرزباني (ت ٣٨٤هـ) تحقيق : علي

محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ.

٣٧. نقد الشعر: قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، تحقيق: د. كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ،

مصر ، ط ٣ ، ١٩٧٨م ، وطبعة المليجية ، د. ت.

٣٨. نقد النثر ، قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م .

٣٩. في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة، مصر ، ط ٩ ، ١٩٦٢م .

٤٠. الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦هـ) ،

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، عيسى الحلبي ، ط٣ ، ١٩٥٠م

، القاهرة .

المراجع الأجنبية :

41. S.anderson, introducting reading on language, united states of , 1969, p.419.